

التَّارِيخُ: ٢٤ يُونِيُو ٢٠٢٢ م - ٢٥ ذُو الْقَعْدَةِ ١٤٤٣ هـ.

الْمَوْضُوعُ: الْقَدْرُ وَالْمَسْئُولِيَّاتُ الْبَشَرِيَّةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: « فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّيْهَا ۗ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّيْهَا ۗ »^١.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ إِحْرَاضٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ. وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ، كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ، وَمَا شَاءَ، فَعَلَ. فَإِنَّ "لَوْ" تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ »^٢.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْكِرَامُ، وَالْأَخَوَاتُ الْكِرِيمَاتُ!

الْقَدْرُ هُوَ مَعْرِفَةُ وَتَقْدِيرُ رَبِّنَا الْعَظِيمِ لِلْأَشْيَاءِ الَّتِي سَتَحْدُثُ مِنَ الْخُلُودِ إِلَى الْأَبَدِ مَعَ خَصَائِصِهَا وَصِفَاتِهَا فِي أَيِّ وَقْتٍ وَبِأَيِّ طَرِيقَةٍ. وَهُنَاكَ حَقِيقَةٌ تُسَمِّيهَا "الْقَدْرُ الْمُطْلَقُ"، خَاصَّةً حَيْثُمَا لَا يَمْلِكُ الْإِنْسَانُ أَيَّ سُلْطَةٍ عَلَيْهِ. لَقَدْ أَعْطَانَا اللَّهُ الْمَسْئُولِيَّاتِ بِتَرْوِيدِنَا بِإِرَادَةِ جُرْئِيَّةٍ وَعَقْلِ. وَبِقَدْرِ مَا نَقُومُ هَذِهِ الْمَسْئُولِيَّاتِ، سَتَكُونُ لَنَا فَيْئَمَةٌ فِي نَظَرِ اللَّهِ تَعَالَى. وَاجِبُنَا الْأَسَاسِيُّ هُوَ طَاعَةُ أَوَامِرِ اللَّهِ وَالْإِبْتِعَادُ عَمَّا حَرَّمَ. يَجِبُ أَنْ نُدْرِكَ جَمِيعَ أَعْمَالِنَا الَّتِي مُتَعَلِّقَةٌ بِالْدُنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ حَيْثُ حَلَالٍ وَحَرَامٍ. فِي النِّهَائِيَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَلِي: « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ »^٣.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وَالْمُسْلِمَاتُ!

هُنَاكَ جَزَاءٌ لِكُلِّ سُلُوكٍ بَشَرِيٍّ. سَنَرَى بِلَا شَكِّ نَتَائِجَ كُلِّ مَا نَقُومُ بِهِ، سَوَاءً كَانَ جَيِّدًا أَمْ سَيِّئًا. إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ بِخُصُوصٍ هَذَا: « لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ »^٤.

أَيُّهَا الْحُضُورُ الْكِرَامُ!

لَا يُمَكِّنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَصَرَّفَ السَّيِّئَاتِ بِقَوْلِهِ: "أَنَّ اللَّهَ قَدَرَ لِي هَكَذَا"، فَإِنَّ لِلْإِنْسَانَ إِلَّا مَا اخْتَارَ لِلْخَيْرِ أَمْ لِلشَّرِّ. وَقَدْ أَوْضَحَ اللَّهُ لَنَا الطَّرِيقَ الصَّحِيحَ وَالطَّرِيقَ الْخَطَأَ بِأَوَامِرِهِ وَمَحْظُورَاتِهِ. فَلِذَلِكَ، عِنْدَمَا نَفْعَلُ شَيْئًا جَيِّدًا أَمْ شَيْئًا سَيِّئًا، فَإِنَّ ذَلِكَ دَائِمًا مِنْ مَسْئُولِيَّتِنَا الْخَاصَّةِ. لَا يَحِقُّ لَنَا أَنْ نَلُومَ أَيَّ شَخْصٍ آخَرَ أَوْ الشَّيْطَانَ عِنْدَمَا نَرْتَكِبُ شَرًّا أَوْ خَطِيئَةً. فِي النِّهَائِيَّةِ، سَيَرْفُضُ الشَّيْطَانُ كُلَّ الْإِثْمَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَسَيَقُولُ مَا يَلِي: « إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي »^٥.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ!

وَأَخِيرًا، سَأَخْتِمُ حُطْبَتِي بِالْآيَاتِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تُذَكِّرُنَا بِمَسْئُولِيَّتِنَا فِي الدُّنْيَا: « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ »^٦.

الْمُتَرَجِّمُ: أَحْمَدُ بُولُوت

الْوَقْفُ الْإِسْلَامِيُّ الْهُولَنْدِيُّ

^٤ سورة البقرة، ٢٨٦/٢.

^٥ سورة إبراهيم، ٢٢/١٤.

^٦ سورة الزلزال، ٨-٧/٩٩.

^١ سورة الشمس، ١٠٠-٨/٩١.

^٢ صحيح المسلم، كتاب القدر، الحديث رقم ٣٤.

^٣ سنن البيهقي، شعب الإيمان، ٣٣٤/٤.